جامعة الانبار ـ كلية الآداب ـ قسم التاريخ

مادة: الجغرافية التاريخية مدرس المادة: د. اسامه محمد عبدالقادر

المحاضرة الخامسة

المعرفة الجغرافية

أسهمت شعوب كثيرة، وحضارات متنوعة في نمو وتطور المعرفة الجغرافية. ولقد أسهم كل شعب بقدر ما سمح به تطوره وتقدمه الحضاري.ينبغي لنا أن نتتبع بعض نماذج الاهتمامات الجغرافية لدى الشعوب القديمة.

1- المصريون القدماء:

أتاح وجود نهر النيل بما يحمله من ماء وطمي، وكذلك المناخ المعتدل لمصر، ظروفًا أدت إلى قيام حضارة عريقة منذ أكثر من ستين قرنًا. ولقد برع المصريون القدماء في كثير من نواحي المعرفة ومنها المعرفة الجغرافية. ونستطيع أن نتتبع معرفة المصريين الجغرافية في مجالات ثلاثة نجملها فيما يلي:

أ- ملاحظة الظاهرات الفلكية واستخدامها في التقويم والحساب والأسفار.

ب-الرحلات.

ج- رسم الخرائط.

وسوف نقوم بعرض كل هذه المجالات بشيء من الإيجاز كما يلي:

أ- ملاحظة الظاهرات الفلكية: ساعدت سماء مصر الصافية، منذ أقدم العصور، على رؤية الأجرام السماوية بوضوح وتتبعها. واختار المصريون من السماء الشمس حينما لاحظوا ما لاحظته أغلب الشعوب القديمة من أثر الشمس في دورة الحياة اليومية، وارتباط شروقها بيقظة الكائنات بعد النوم وبالحركة بعد الخمول وربط المصريون ، وبين مجيء الفيضان، القدماء بين شروق النجم سيريوس المعروف بالشعرى اليمانية إذ إن هذا النجم يظهر قبل شروق الشمس بفترة قصيرة في يوم 19 يوليو كل عام أي قبل مجيء الفيضان ببضعة أيام، ولذلك فإنهم اعتبروه رسولًا يبلغهم بمجيء الفيضان. ووجد المصريون القدماء كذلك أن الفترة التى تنقضي بين ظهور هذا النجم مرتين تقدر بنحو 365 أو 366 يومًا. فقسموا هذه الفترة إلى ثلاثة فصول هي: فصل الفيضان،

فصل الإنبات، فصل الجفاف. وكانت السنة عندهم 12 شهرًا، بكل شهر 30 يومًا، ويضاف إليها بعد الشهر الأخير خمسة أيام سموها الأيام المضافة أو اللواحق، جعلوها أعيادًا يحتفلون فيه.

ب- الرحلات:

قام المصريون القدماء برحلات خارجية وداخلية زادت من معرفتهم الجغرافية. وكانت هذه الرحلات إما على هيئة بعثات تجارية أو حملات عسكرية. وتفوق المصريون القدماء في رحلاتهم البحرية نتيجة لأسباب عديدة أهمها:

- وجود نهر النيل وجريانه في القطر المصري من الجنوب إلى الشمال.

- تمتع مصر بوجود ساحلين طويلين لها على البحر المتوسط والبحر الأحمر.

- كثرة البحيرات الساحلية والداخلية في البلاد .

- وجود البردي والأخشاب التى صنع منها المصريون قواربهم.

ولقد كان نهر النيل والمسطحات المائية السالفة الذكر بمثابة مدارس للتدريب البحري آنذاك، وبالتالي ساعدت المصريين على الإقبال على ركوب البحر والقيام برحلات بحرية مهمة.

ومن أهم الرحلات التى قام بها المصريون:

1- رحلة أو بعثة سنفرو حوالى سنة 3200 ق. م لجلب الخشب من بلاد الشام لبناء السفن والمعابد.

2- رحلة حتشبسوت حوالي سنة 1500 ق. م إلي بلاد بونت1.

ولقد ضمت الرحلة خمس سفن بحرية وذلك لإحضار البخور اللازم للطقوس الدينية في معابد مصر القديمة.

3- رحلة نخاو منذ أكثر من سته وعشرين قرنًا والتي دارت حول أفريقيا في أكثر من ثلاث سنوات، وقطعت فيها ما يقرب من 13500 ميل، وقد أشار هيرودت لهذه الرحلة في كتاباته.

قام المصريون كذلك بحملات وبعثات عسكرية في أيام تحتمس الثالث ورمسيس الثاني إلى بلاد الشام وفلسطين وبلاد النوبة، وأطلق جنود تحتمس على نهر الفرات آنذاك "النهر ذو المياه العكسية" لأنه يسير من الشمال إلى الجنوب على عكس ما ألفوه من نهر النيل. ولاشك أن هذه الحملات والرحلات قد زادت من رقعة المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء.

جـ- رسم الخرائط:

يجمع الباحثون على أن مصر من أقدم الدول التى عرفت أصول المساحة والقياس، وذلك بدافع الاهتمام بتقدير الضرائب المستحقة على الأراضي. وكان مسح هذه الأراضي يتم عقب كل فيضان وذلك عند بذر البذور.

وقد وجدت خرائط مصرية قديمة ترجع إلى عهد رمسيس الثاني سنة 1300 ق. م في متحف تورينو بإيطاليا وهي مرسومة على ورقة من البردي توضح أحد مناجم الذهب.

وهناك نوع آخر من الخرائط يمكن أن يوصف بالخرائط الدينية، وهي تلك الخرائط التى كانت توضع في قبور الموتى لترشدهم إلى العالم الآخر.

المحاضرة السادسة

2- بلاد ما بين النهرين:

بنى البابليون الأبراج للتعرف على الأجرام السماوية ورصد حركاتها وتمكنوا من تسجيل ظاهرتى الخسوف والكسوف

ووضع البابليون تقويمًا قمريًّا وجعلوا طول الشهر القمري 29 يومًا وثلاثين يومًا بالتتابع. وعلى هذا صار طول السنة 354 يومًا. ولكي يتم التوافق بين السنة القمرية والسنة الشمسية كان البابليون يضيفون شهرًا آخر للسنة عند الضرورة لتصير 13 شهرًا.

ب- فن الخرائط:

البابليون أقدم الشعوب التي برعت في رسم الخرائط. وساعدهم على ذلك توافر المادة الخام التي كانوا يصنعون منه خرائطهم والممثلة في الطين الذي يرسبه نهرًا دجلة

والفرات. بالإضافة إلى ذلك فإن تفوقهم في علم الفلك والرياضيات قد يسر لهم الدوائر والأشكال الهندسية وغيرها من الأشياء والحسابات اللازمة لإعدد الخرائط.

ويذكر أحمد سوسه أن أقدم خريطة معروفة للعالم حتى الآن هي لوح من الطين المحروق تمثل منطقة الفتوح التى أنجزها سرجون السامي ملك اكاد "حوالى 2300 ق. م"، وهي عبارة عن سهل مستدير يشتمل على بلاد بابل وآشور وتقع الجبال في جهة الشمال والأهوار في الجنوب.1 ويحيط بالدائرة البحر وعلى أطراف البحر جزر رسمت على شكل مثلثات دونت عليها المسافات. ورسمت بابل في وسط الدائرة على شكل مستطيل.

ولكن الأستاذ إرون ريز يؤكد أن هناك خريطة أخرى أقدم من التى ذكرها سوسة.1 وهذه الخريطة أيضًا وجدت في جاسور على بعد حوالي مائتي ميل شمالي بابل. ولقد وجدت هذه الخريطة مع ما يقرب من مائتي لوح من الطين المحروق والتي كتب عليها بعدة لغات مثل السومرية والأكدية. ويبدو أن الخريطة التى يشير إليها يرجع تاريخها إلى حوالي 2500 ق. م. وسوف نتناول الإشارة إلى هذه الخريطة أثناء الحديث عن علم الخرائط في فصل لاحق.

وهناك خرائط أخرى عثر عليها المنقبون عن الآثار مثل خريطة مساحية ترجع إلى سلالة أور الثالثة في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد، وتمثل هذه الخريطة مساحة 800 دونم عراقي مقسمة إلى قطع بأشكال ذوات أضلاع.

جـ- قوائم البيانات الجغرافية:

دوّن البابليون قوائم بالبيانات الجغرافية التي عرفوها عن الأقاليم المختلفة مثل قوائم الملك سرجون. وتعد بعض هذه البيانات إرشادات للسفر وبيانات عن الطريق، ويبدو أنها كانت خاصة بالأعمال الإدارية. وربما كان اتساع الدولة والنجاح في ضم الأقاليم سببًا للاهتمام بالمعلومات الجغرافية لدى البابليين عن هذه الأقاليم لتيسير إدارتها.

المصادر

المدخل الى علم الجغرافية والبيئة ، د.محمد محمود محمدين ، د.عثمان طه الفراء ، ط4،دار المريخ ،الرياض،1422هـ.